المستقبل للغة العربية الفصحى

الأستاذ هنري فليش
(جامعة بيروت)

اهدتنا المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتيبا قيما للاستاذ المستعرب هنري فليش Henri Fleisch بالفرنسية حول اللغة الفصحى واللغة العامية ، نقتبس منه مقدمته شاكرين للاستاذ الكريم دفاعه عن لغة الضاد التي هي المقوم الجوهري لوحدة الشعوب العربية فى الحقل الثقافي :

وقد أرفق سيادته هذا البحث بمذكرة حلل فيها اسئلة الاستفتاء :

قال سيادته :

ان الموقف العام الذي يتخذه العالم العربي الاسلامي حيال لهجات بلدانه يتضح كما يلي : فهذا العالم ليس بمطلع على الامر اطلاعا صحيحا اذ انه لا يعرف ما المقصود بلهجة وما المقصود بلغة عامة . كما يجهل الدور الذي اضطلعت به اللهجة واللغة العامة فى حياة العرب .

وعليه ، نرى صاحب المقال يعرض اولا مفاهيم علم اللغة العام حول هذين الوضعين من اللغة : اللهجة ، وهي الحالة الطبيعية للغة ما ، واللغة العامة التي هي امتداد ونمو لهجة فوق اللهجات الاخرى ، بفضل ظروف خاصة ، لتحل محل لغة علاقة وثقافة ، وكل ذلك معزز بمثل اربع من اللغات الاوربية الكبرى. ثم انه يبحث اثر اللهجة واللغة العامة فى ثلاثة اوضاع تاريخية كبرى من حياة العرب اللغوية .

وضع أول : الحالة اللغوية فى الجزيرة العربية، على ايام الجاهلية .

فنجد لغة عامة للشعر واللهجات .

وضع ثان : المشاكل اللغوية التي اعترضت العالم العربي الاسلامي ، مباشرة بعد الفتوحات العظيمة ، حتى منذ موت الخليفة عمر بن الخطاب (24هـ — 644م) . فتحقق منذ هذا التاريخ فقدان الاعراب فى كلام المستعربين ، مما يشكل بداية اللغة العامية والضرورة الحيوية لمبادىء فى الصرف والنحو.

وضع ثالث : ارساء اللغة الادبية على القواعد بفضل جهود النحاة . ويفصح عن ذلك كتاب سيبويه (المتوفى سنة 177هـ) وهو تصنيف ينطوي على اهمية قصوى . فكل الادب العربي الاسلامي قد كتب فى هذه اللغة البيانية الخاضعة للقواعد ، والمثبتة ، ولكن مع بعض تنازلات توجب عليه مع الزمن ، ان يسلم بها اللسان العربي المتوسط . وكانت اللغة العامية وهي لغة حية ، تسير على سنتها الطبيعية : كانت تتطور . وما الوضع الحاضر سوى استمرار واتساع للوضع اللغوي الاول فى عهد الخلفاء : لغة كتابية تقتصر على قواعد كتاب سيبويه ولغة محكية عامية كثيرة التنوع . بعد قرون من تطور هذه اللغة الحية .

ولابد للعالم العربي الاسلامي الحاضر ، كي يرى بجلاء فى وضعه اللغوي ، من ان يعرف ما يلي : اولا ، انه يمكن العيش مع لغة كتابية للثقافة ولهجات متطورة ، ولنا مثل على ذلك من اللغة الالمانية. الا انه ينبغي له ان يسد نقصين خطيرين ، اولهما السعي ، على الاقل من اجل الاستعمال العام ، لايجاد وسيلة تتيح وضع علامة على الحروف الصوتية القصيرة فى طريقة الكتابة العربية ، وثانيهما تجديد مبادىء الصرف والنحو القديمة والمعقدة والمستكرهة ، ثم ان اللغة العربية الفصحى الحديثة متأخرة عن زمانها ثلاثة قرون من الواجب اللحاق بها، اجل ان هناك عملا قد تم . ولكن يقتضي هذه اللغة أن تتبع تطورا يكون كتطور جسم عضوي . ولا يمكن بلوغ الغرض الا بواسطة كتاب محدثين ، متشبعين من الاقدمين ، بواسطة كتاب حقيقيين ، واسعي الثقافة ، يتصورون عالمهم بلغة عربية فصحى صحيحة وحديثة . واخيرا ، ان المستقبل هو للغة العربية الفصحى الحديثة ، ذلك لان ما للغة الادبية من نفوذ بعيد المدى يقطع الطريق ، الآن والى امد طويل ، على كل محاولة ترمي الى اقامة لهجة ثقافة باللغة العامة . وليس بمجد ان تحتقر اللهجات التي هي من جهة اخرى ، مصدر تعاليم لغوية .